

اجتهادات ثورة الأزياء

ليس معروفاً على وجه الدقة متى بُدئ في استخدام كلمة ثورة للدلالة على احتجاجات شعبية واسعة. لكن استخدامها بعد التغيير الجذري الذي حدث في فرنسا عام 1789، وأحدث ارتدادات كبيرة في أوروبا والعالم، لم يقتصر على الاحتجاجات السياسية والاجتماعية. فقد استُخدمت كلمة ثورة في مجالات متزايدة، بعد أن سُميت الطفرة الاقتصادية التي بدأت في بريطانيا ثورةً صناعية.

غير أن التوسع في استخدام هذه الكلمة في الأدبيات السياسية والاجتماعية بدءاً من خمسينيات القرن الماضي اقترن بتغيير في دلالتها، إذ استُخدمت للدلالة على تغيير يحدث من أعلى بواسطة سياسات عامة، وليس من أسفل فقط. وأسهم انتشار الاشتراكية في العالم في وصول هذا التوسع إلى ذروته.

ولعلها كانت مفارقةً اقتران هذا التوسع بتغيير بدأ يحدث في اتجاه آخر تماماً لم يكن سوى قليل من الناس في العالم يلتفتون إليه في ذلك الوقت. ووصف ذلك التغيير بعد سنوات بأنه ثورة قادها مصمم أزياء صار علماً يُشار إليه بالبنان، وهو بيير كاردان صاحب العلامة التجارية الكبيرة الذي رحل قبل أيام.

ارتبطت ثورة أزياء بيير كاردان بإنزال الموضة من عالم نخبوى، حيث كان الاهتمام بها محصوراً بين جدرانها الضيقة، إلى العالم الواسع، عندما

قدم فى آخر الخمسينيات أول مجموعة أزياء جاهزة. وكانت هذه بداية انخفاض أسعار الأزياء الفخمة، التى صار كثير من تصاميمها فى تناول شرائح عدة من الطبقات الوسطى. واتسمت تلك الثورة فى بدايتها بالجرأة فى ابتكار تصاميم غير مألوفة أحدثت رد فعل مزدوج، إذ لم يستسغها البعض، بينما وجد فيها آخرون إبداعاً غير مسبوق. ولذلك لم يكن غريباً انتخاب كاردان عضواً فى الأكاديمية الفرنسية للفنون، التى كانت أول من نعاها.

واصل كاردان إشرافه المباشر على أعماله رغم تقدمه فى العمر (رحل عن 92 عاماً)، ورفض أن يتقاعد. كما استمر فى دعم مواهب فنية ناشئة، ورعاية أنشطة موسيقية، لأنه كان فى جوهره فناناً جعل تصميم الأزياء فناً، وليس مهنة فقط.

رحل بيير كاردان، ولكن اسمه سيبقى محفوراً فى ملابس يرتديها ملايين البشر فى معظم أنحاء العالم.